المبحث الثاني

رأي أهل السنة و(الأشاعرة) في كلام اللّه

أهل السنة (الأشاعرة)

- **رجـــالها.**
- **رأيـــــها.**
- **أدلتـــــها.**

أهل السنة والاشاعرة:

الأشعرية: (أصحاب أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1]).

أما الأشاعرة: فهم يؤكدون إن مذهبهم هو امتداد لمذهب الصحابة والتابعين، وائمة الفقه ورجال الحديث مذهب أهل السنة[2].

يتبين أن هناك فرقاً بين كلمة الأشعرية والأشاعرة وهو ان الأشعرية فرقة أما الأشاعرة فهم رجال تلك الفرقة.

وأن الاشاعرة مذهبهم مستمد من مذهب أهل السنة إذن آراؤهم آراء أهل السنة.

وأهل السنة تطلق عليهم تسميتان:

أ- أصحاب الحديث: (فسموا بذلك لأنهم انكروا الرأي والقياس وقالوا علينا أن نتبع ما روي لنا عن رسول الله – ﷺ – وعن الصحابة والتابعين وما جاء عنهم من الحديث في الفقه والحلال والحرام ولا يجوز لنا ان نقيس بآرائنا: فقيل لهم أصحاب الحديث[3]).

ب-أصحاب الرأي: (سموا بذلك لأنهم أجازوا الرأي والقياس في الفقه وقالوا يجوز بنا اجتهاد الرأي فيما اشتبه علينا مما لم نجده في الكتاب والسنة فسموا بذلك اصحاب الرأي[4]).

رجال أهل السنة والأشاعرة:

- امام الإسلام النعمان بن ثابت المكنى بأبي حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (المتوفى سنة 150 هـ[5]).
- مالك بن أنس أحد ائمة أهل السنة المتوفى سنة 179 هـ[6].

---

1) الملل والنمل 119/1.
2) ينظر: في علم الكلام 414.
3) الزينة 267/2.
4) نفسه 268/2.
5) ينظر: معجم مصطلحات اصول الفقه وما بعدها، ونشأة الفكر الفلسفي 234/1.
6) ينظر:التفكير الفلسفي في الاسلام 62.

- الشافعي: من أكابر فلاسفة الإسلام المتوفى سنة 204 هـ[1].
- الكناني: عبد العزيز المتوفى عام 240 هـ[2].
- ابن كلاب: عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب المكنى بأبي محمد قائد الفرقة الكلابية (المتوفى سنة 240 هـ[3]).
- الأشعري: علي بن اسماعيل بن اسحاق المكنى بأبي الحسن*.
- الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد المكنى بأبي بكر، يعد من أهم علماء الأشعرية (توفى سنة 403 هـ[4]).
- البغدادي: عبد القاهر (المتوفي سنة 429 هـ[5]).
- الغزالي: أبو حامد بن محمد بن أحمد*.
- القلانسي: أحمد بن عبد الرحمن بن خالد المكنى بأبي العباس[6].

---

1) المصدر نفسه 61.

2) ينظر: كتاب الحيدة 14 المقدمة.

3) ينظر: التفكير الفلسفي في الإسلام 65، والعقل الفلسفي في الإسلام 90/1، 131/1

*) كان في بادئ الأمر أحد رجال المعتزلة لأنه تتلمذ على يد مؤسس الجبائية أبي على الجبائي (المتوفى سنة 303 هـ) الا انه لم يتقبل بعض آراء المعتزلة فاعتزل هذا المذهب لأنه رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحثه على اتباع أهل السنة توفى الأشعري سنة 324 هـ, ينظر: التفكير الفلسفي في الإسلام 199/1، والعقل الفلسفي 135/1.

4) ينظر: العقل الفلسفي في الإسلام 136/1.

5) ينظر: في علم الكلام 542.

*) لقب بالغزالي نسبة إلى القرية التي ولد فيها وهي قرية (غزالة) إحدى قرى مدينة طوس وهناك رأي آخر يقول: إن سبب التسمية مستمدة من مهنة والده وهي عزل الصوف (توفى سنة 505 هـ) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام 354/21، ودستور العلماء 11/4 وما بعدها.

6) ينظر: التفكير الفلسفي في الإسلام 67.

رأي أهل السنة الأشاعرة في كلام الله:

اجتمع أهل السنة (الاشاعرة) على أن كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كلام قديم غير مخلوق[1] والقديم في اصل اللغة: (هو ما تقدم وجوده[2]).

أما في الاصطلاح فهو السابق للوجود لا موجود قبل وجوده[3].

وذكر: (إنما سمي قرآنا لمعنى الجمع، وكلام الله لأنه يتأدى به، والكتابة الدالة عليه مكتوبة في مصاحفنا، والقرآن الدال عليه مقروء بألسنتنا، والألفاظ الدالة عليه محفوظة في صدورنا لا في ذاته كما يقال: الله مكتوب على هذا الكاغد لا يراد به حلول ذاته فيه وانما يراد به ما يدل على ذاته، ومحصلة ان ما قام بذاته تعالى قديم وهو متكلم في الازل به حيث لا سامع ولا مخاطب، وهذا لا يوصف بالنزول والحدوث وهو الذي يتلى في الصلاة[4]).

يتبين ان الجمع والاداء والكتابة والقراءة والألفاظ صفات لا تدل على ذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهي صفات محدثة مخلوقة، وما يدل على القدم المكتوب والمقروء والمتلو لانها قد تمت من قبل الرب. إذن الكلام قديم غير مخلوق[5].

وذكر الأشعري (المتوفى سنة 324 ه) دليل على كون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يزال متكلماً: (دليل على ان الله تعالى لم يزل متكلماً ان الكلام لا يخلو ان يكون قديماً أو حديثاً فان كان محدثاً لم يخل أن يحدثه الله في نفسه، أو قائماً بنفسه، أو في غيره، فيستحيل ان يحدثه في نفسه لانه ليس

---

1) ينظر: كتاب الحيدة 17، الاختلاف في اللفظ 43، والزينة 267/3، والمضنون به على غير اهله: 60، وتاريخ الفكر الفلسفي 204/1، فلسفة العقل 39، والقرآن وعلم القراءة: 69، المذاهب الإسلامية: 276، والمثقفون في الحضارة العربية 80، ونشأة الفكر الفلسفي 274/1.

2) شرح الإصول الخمسة 117.

3) ينظر: شرح الأصول الخمسة 117، والجام العوام عن علم الكتاب 66 وما بعدها، والإنسان الكامل في معرفة الآواخر والأوائل 63/1، والاسماء والصفات 23.

4) الكليات: 759، وروح المعاني 11/1.

5) ينظر: كتاب الإقتصاد في الاعتقاد 80، ودستور العلماء 134/3، وفي علم الكلام 542.

بمحل للحوادث، ويستحيل ان يحدثه قائماً بنفسه لأنه صفة والصفة لا تقوم بنفسها، ويستحيل ان يحدثه في غيره لأنه لو احدثه في غيره لوجب أن يشتق ذلك الجسم الذي فيه الكلام من أخص أوصاف الكلام اللازمة له نفسه اسماً وللجملة التي المحل منها اسماً، فان كان أخص أوصاف الكلام انه كلام وجب أن يكون ذلك الجسم متكلماً، وإن أخص أوصافه انه نهى وجب ان يكون ذلك الجسم ناهياً، فلما استحال أن يتكلم بكلام الله تعالى غيره، ويأمر بأمره غيره، وينهى بنهيه غيره استحال أن يحدث كلاماً في غيره فيكون به متكلماً، واذا فسدت الوجوه التي يخلو الكلام منها لو كان محدثاً صح انه قديم وإن الله تعالى لم يزل به متكلماً[1]).

فكلام الله تعالى بما يشمله من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وأخبار عن الأولين والآخرين، وعد وعيد يدل على كون كلامه تعالى محدثاً، لأنه هذه العبارات قد نزلت على لسان الملائكة إلى الأنبياء والرسل، فهذه دلالات على كلام الله القديم والدلالة حادثة مخلوقة، أما المدلول فهو قديم غير مخلوق[2].

أدلة الأشاعرة على كون كلام الله تعالى قديماً غير مخلوق:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

هذه الآية الكريمة دليل على كون القرآن الكريم قديماً غير مخلوق[4].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[5] دليل على كون القرآن غير مخلوق، ذكر الدكتور محمد أبو زهرة: (إن السلف قالوا: لم يزل الله متكلماً اذا شاء

---

1) كتاب اللمع في الرد 23.

2) ينظر: الملل والنمل 1/23، والتفكير الفلسفي في الإسلام 65.

3) هود 110

4) ينظر حجج القرآن: 66.

5) يوسف 2.

بالعربية كما تكلم بالقرآن العربي وما تكلم به فهو قائم به، وليس مخلوقاً منفصلاً عنه، فلا تكون الحروف التي هي اسماء الله الحسنى، وكتبه المنزله مخلوقة لأن الله تكلم بها[1]) وسمي عربياً لأن كتابته وقراءته عربية[2]، هذه الآية احتج بها المعتزلة والاشاعرة لكن لكل فرقة رأيها الخاص.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [3] المراد بالذكر القرآن الكريم وهو دليل على كون كلامه قديم غير مخلوق[4]، وهذه الآية احتج بها كلا الفريقين الا ان المعتزلة اعطوا سبب الاحتجاج لكن الأشاعرة لم يذكروا سوى الآية.
- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [5].
- دليل على كون كلامه قديماً غير مخلوق، قال الباقلاني (المتوفى سنة 403 ه): (فلو كان القرآن مخلوقاً بقول آخر، وذلك يوجب ان لا يوجد من الله تعالى فعلاً اصلاً و اذا كان لابد ان يوجد قبله أفعال وهي أقاويل لا غاية لها[6]).
- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [7]، فالاستعاذة تكون بالخالق، وليس بالمخلوق[8]، فالخالق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكلامه جزء منه فهو غير مخلوق.
- لو كان القرآن مخلوقاً لأستطاع البشر الإتيان بمثله. إذن هو غير مخلوق[9]، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [10]

---

1) المذاهب الإسلامية 329.
2) العقل الفلسفي 18/3.
3) الحجر 9.
4) ينظر: تيجان البيان 192.
5) النحل 40.
6) التمهيد 237.
7) النحل 98.
8) ينظر: الاسماء والصفات 241.
9) ينظر: التمهيد 239.
10) الاسراء 88.

- قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [1]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد ذكر خلق الإنسان ولم يذكر خلق القرآن في الآيات جميعها التي وردت فيها لفظة القرآن[2]، اذن القرآن غير مخلوق.
- كلام الله غير مخلوق والدليل على ذلك قول البيهقي: (اخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا عبد الرحمن محمد بن ابراهيم بن جحش يقول: سمعت ابا بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة يقول: سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول: سمعت علي بن المديني يقال: اختصم مسلم ويهودي إلى قضاتهم بالبصرة فصار اليمين على المسلم. فقال اليهودي: حلفه، فقال المخاصم إليه: احلف بالله الذي لا اله الا هو، فقال اليهودي، انت تزعم ان القرآن مخلوق، والله في القرآن، يعني ذكره، حلفه بالخالق لا بالمخلوق، قال: فتحير القاضي وقال: قوما حتى انظر في امركما[3]).

يتبين أن القرآن الكريم (كلام الله) ليس مخلوقاً، فلو كان مخلوقاً لما صح الحلف به لأن الحلف أوالقسم لا يكون الا بالخالق فكيف يكون بالمخلوق ؟ اذن كلام الله ليس مخلوقاً.

- نفيهم أن يكون كلام الله جسماً أو عرضاً، قال الباقلاني (المتوفى سنة 403 هـ): (لو كان كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخلوقاً وليس من جنس الاجسام عندنا وعندهم لو جب أن يكون عرضاً، ولو كان عرضا لوجب أن يكون فانياً في الثاني من حال حدوثه وان لا يكون الباري سبحانه في وقتنا هذا امراً بشيء ولا ناهياً عنه ولا واعداً ولا متوعداً ولا مركباً ولا مخبراً، وفي اجماع الامة على أن الله تبارك وتعالى امر خلقه في هذا الوقت بطاعته وناه لهم عن معصيته وأنه متكلم بالامر والنهي لخلقه دليل على انه لا يجوز ان يكون متكلماً بكلام عرض مخلوق لأن الدلالة قد دلت على استحالة بقاء الاعراض[4])

---

1) الرحمن 1-4.

2) ينظر: شرح الإصول الخمسة 369، والكليات 761.

3) الاسماء والصفات 326.

4) التمهيد 238 وما بعدها، وينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل 5/3.

فهذا دليل على كون كلام الله تعالى غير مخلوق.

- الكلام النفسي كلام قديم غير مخلوق لأنه ليس بصوت ولا حرف، ولا يمكن تقسيمه، أو تبعيضه، أو تجزئته، وهذا الكلام كلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبده موسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– به[1].
- ويؤكد العلماء والمفسرون على أن الكلام النفسي موجود ليس في نفس الباري فحسب بل في نفس الإنسان المخلوق[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3].

فهذه الاية تدل على ان الباري يعلم ما يدور في نفس عبده ولا يعلم العبد ما يدور في نفس خالقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كلام.

وقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤادِ وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلاً[4]

دليل على وجود الكلام النفسي في الانسان.

ذكر الدكتور عبد الستار عز الدين الراوي: (ان ما نجده في انفسنا من معنى نفسي يجول في خواطرنا قبل وضعه في لفظة، فحيث انفرد بالوجود دون اللفظ فهو غيره بل هو كلامنا حقيقة، أما الالفاظ فهي وسيلة لنقله إلى الغير وحسب[5].

---

1) ينظر: الكوكب الازهر شرح الفقه الاكبر 76، روح المعاني 73/20 وما بعدها وتاريخ الفكر الفلسفي:383/2، في علم الكلام 480، التفكير العقلي في الإسلام 65، القرآن والفلسفة "106، والعقل الفلسفي في الإسلام 17/1، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام 276/1، والتراث النقدي والبلاغي للمعتزلة377.

2) ينظر: كتاب الاقتصاد في الاعتقاد 76، ودستور العلماء 134/3 او ما بعدها.

3) المائدة 116.

4) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد 75، والكليات 757، ودستور العلماء 135/3، ومفهوم النص 225.

5) فلسفة العقل 39.

يتبين أن الكلام النفسي موجود في الذات قبل الكلام المنطوق والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد تكلم بالكلام النفسي مع موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وهذا يدل على قدمه.